أجلسته وخرجت هي لتعود وبيدها سراج الكيروسين، أشعلته فأضاء المكان، فسرى هدوء وطمأنينة غلبني النوم كما غلب إخوتي وأبناء عمي وظلت أمي وزوجة عمي تغالبان النوم ويغلبهما، في اليوم التالي لم يكن هناك شيء مميز فقد بقينا طيلة اليوم تقريباً في الخندق.

جارتنا المعلمة عائشة كانت لا تفارق جهاز الراديو وتحرص على البقاء قريباً من فتحة الخندق كي يظل الراديو قادراً على التقاط أمواج البث لتستمع إلى آخر الأخبار، وكلما استمعت إلى نشرة أخبار أخرى حدثت والدتي وزوجة عمي بالأخبار فيزداد الجو اكتئاباً وحزناً ويعمّ الوجوم الذي انعكس تلقائياً على استعدادية أمي وزوجة عمي لسماعنا وتلبية رغباتنا حيث أصبح كف كل منها أثقل علينا وهما تطلبان منا الصمت، التصريحات النارية التي كان يطلقها "أحمد سعيد" المعلّق في صوت العرب من القاهرة عن إلقاء اليهود في البحر وعن التهديدات والتوعدات لدولة الكيان بدأت تضعف وتتلاشى وبالمقابل فقد بدأت أحلام أهلنا بالعودة إلى ديارنا التي هجرنا منها تنهار كقصور الرمل التي اعتدنا كصغار على بنائها أثناء لعبنا في الحارة وغاية المنى أن نرجع إلى المنطقة التي كنا فيها، أن يرجع عمي الذي كان مجنداً في الجيش، جيش تحرير فلسطين سالماً إلى عائلته، وأن يرجع أبي الذي خرج ضمن المقاومة الشعبية إلينا سالماً، ومع كل نشرة أخبار جديدة تستمع إليها (الست) عائشة تزداد الكآبة والتوتر واللجوء إلى الدعاء ورفع الأكف إلى السماء طلباً للسلامة وعودة والدتي وعمي وصوت الانفجارات يزداد ويقترب ويصبح أكثر شدة، كانت أمي تخرج بين الحين والآخر من الخندق وتغيب دقائق في داخل البيت ثم تعود وقد أحضرت لنا شيئاً نأكله أو نتغطى به، أو تعود لتطمئن زوجة عمي على مصير جدي الذي أصر على البقاء في غرفته في البيت رافضاً النزول معنا إلى ذلك الخندق.

في البداية كان أمله في العودة إلى الدار والبيادر في الفلوجة قريباً وأنه لا أخطار تحدق بنا، فالخطر سيكون على اليهود الذين ستدوسهم جيوش العرب، ولكن بعد أن اتضحت له معادلة المعركة الجديدة بأنها لغير صالحنا كعرب، فقد رفض النزول إذ لم يعد هناك طعمٌ أو قيمة للحياة، وقد تساءل إلى متى سنظل نختبئ ونهرب من قدرنا (لوقتيش رح نشرد من قدرنا) فالموت والحياة أصبحا سيّين.

حلّ الظلام مرة أخرى وغرقنا في نوم، قطعه عدة مرات أصوات انفجارات مدّوية أكثر وأكثر، وفي صبيحة اليوم التالي ازدادت الانفجارات دوياً، وفي هذا اليوم لم يكن هناك شيء مميز، سوى حادثة واحدة فقد تدافع عدد كبير من الناس تتصايح جاسوس جاسوس.